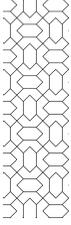


#### CITATION

Ahmed, Karim Farok, "دلالة السياق وأنماطه في القرآن الكريم من منظور الزركشي" *Journal of Faculty of Theology of Bozok University*, 10, 10 (2016/10) pp. 37-50.



## دلالة السياق وأنماطه في القرآن الكريم من منظور الإمام الزركشي\*

İmam Zerkeşî'ye Göre Kur'ân'ın Kerîm'de  
Siyak Delaleti ve Yöntemleri

### Karim Farok AHMED

Yrd. Doç. Dr.

Bozok Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Temel İslam Bilimleri,  
Arap Dili ve Belâgatı Anabilim Dalı

#### ملخص:

يحاول البحث الكشف عن جذور المناهج النقدية واللغوية الحديثة في كتب التراث لا سيما في كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي؛ بهدف التأصيل لأدوات تلك المناهج في تراثنا من ناحية، ورصد جهود الزركشي النقدية واللغوية التي تتقاطع مع المناهج الحديثة؛ للكشف عن أسبقيته علي منطري تلك المناهج بتطبيق تلك الأدوات على النص القرآني للكشف عن دلالاته قدر المستطاع من ناحية أخرى. وقد خصص الباحث هذا المقال للكشف عن تصور الزركشي للسياق ودلالته وتأثيره في النص، وتصوره لأنماط السياقات في النص القرآني بصورة تطبيقية. الكلمات المفتاحية: سياق، دلالة، أنماط، القرآن، الزركشي.

#### Özet

Araştırmacı bu makalesinde, Bedruddin ez-Zerkeşî'nin "el-Burhân fî Ulûmi'l-Kur'ân" adlı kitabında, modern dil ve yöntemleri tenkidi sadedinde bu yöntemlerin köklerini açığa çıkarmaya ve bu yöntemlerle ilgili gereksemelerin kökleştirilmesini veya yerleşmesini bir yönden araştırmaya uğraşmış, diğer yönden ise, bu yöntemleri Kur'ân naslarının üzerinde uyguladığımızda delaletini mümkün merteye açıklığa kavuşturmak ve bu sistemleri inceleyenler açısından hangisinin daha öncelikli olduğunu belirlemek ve Zerkeşî'nin modern sistemlerle çelişen dil ve metin tenkidinde sarf ettiği emeği izlemeye çalışmıştır.

Yazar bu makaleyi, Zerkeşî'nin siyak ve delaletinin nassa nasıl etki ettiğine dair düşüncesine tahsis etmiş ve O'nun pratik şekilde Kur'ân naslarındaki siyak tarzlarının etkisini açığa çıkarmıştır.

**Anahtar Kelimeler:** Bağlam, yöntem, mana, Kur'ân, ez-Zerkeşî

#### Abstract

In this article, the researcher aims to reveal the roots of modern language and the methods of source criticism in Bedrettin ez-Zerkeşî's 'Al-Burhan fî ulumi'l-Qur'an' and the necessity for it to notice them on the other hand as for this cultural heritage he aims to identify this method of source criticism's guidance and implication to Quran and to show the best way for researchers examining these systems. The writer reserved this article for Zerkeşî's thought on 'siyak', its guidance and effects on comments.

**Keywords:** context, method, meaning, Quran, Ez-Zerkeşî

\* بقلم الدكتور/كريم فاروق أحمد عبد الدايم، أستاذ البلاغة وعلوم العربية المساعد، كلية الإلهيات، جامعة بوزوك.

#### KAYNAKÇA

Ahmed, Karim Farok, "İmam Zerkeşî'ye Göre Kur'ân'ın Kerîm'de Siyak Delaleti ve Yöntemleri", *Bozok Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi*, 10, 10 (2016/10) ss. 37-50. Geliş T. 05/10/2016, Kabul T. 25/11/2016.

## تقديم

إذا كانت الدلالة تنطلق من "دراسة المعنى"<sup>2</sup>, فإن هذا المعنى لا يتحدد بحسب ما تعارف عليه أهل اللغة تجاه إشارته اللغوية فحسب, بل تمثل الصيغة الصرفية والموقع النحوي لتلك الإشارة علاوة على السياق الواردة فيه أدوات تكشف عن هذا المعنى, ولذا «نحن نقول بتحليل للدلالة بجعلها:

1- دلالة أساسية أو معجمية

2- دلالة صرفية

3- دلالة نحوية

4- دلالة سياقية موقعية

وهذه الدلالات تأتلف في كل متكامل يتأدى إلينا<sup>3</sup>.

ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من ثراء المعاجم بدلالات ألفاظ اللغة إلا أن تلك الدلالات قد تتجاوز مؤشرات ثباتها أثناء الممارسة الفعلية للغة, أو بمعنى آخر, إن طريقة استخدام اللفظ تؤثر في ثبات دلالاته المعجمية وتتوجه به صوب دلالات أخرى: «وإن هذه الطريقة التي تستعمل فيها الكلمة هي التي تصنف دلالة هذه الكلمة ضمن الدلالة الرئيسية أو القيم الحافة التي تتحدد معها الصور الأسلوبية؛ لأن السياق يحمل حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدها الباحث وهو ما يتجاوز تحديد الدلالة المعجمية المباشرة للكلمة إلى تحديد الإطار الذي يكتنف استعمالها<sup>4</sup>.

وعلى هذا فإن السياق ليس مؤثراً في الكشف عن الدلالة المعجمية للكلمة باعتبارها وحدة دلالية فحسب, بل إن السياق مؤثر أيضاً في الكشف عن دلالات التراكيب باعتبارها وحدات دلالية كبرى, ولا نظن أننا قد تجاوزنا حد الحقيقة إذا قلنا: إن «معظم الوحدات الكلامية اللغوية تعتمد في تفسيراتها على السياق الذي تستخدم فيه<sup>5</sup>.

وقد شغل السياق حيزاً لا بأس به في الدرس الأسلوبي, فبجانب أهميته في الكشف عن دلالات المفردات والتراكيب داخل النص نجد أن للسياق دوراً لا يقل في أهميته عن الكشف عن الدلالة, ويتحدد هذا الدور في الربط بين مكونات اللغة؛ ليكشف في النهاية عن دلالاتها: «ومن المؤكد أن افتقاد المقام يؤدي إلى ورود مفردات متناثرة لا تمثل مقالا بالمعنى اللغوي, أو بالمعنى البلاغي؛ لأنها لم توضع في سياق يربط بين أجزائها بحيث

<sup>2</sup> جون لاينز، علم الدلالة، ت. مجيد عبد الحليم الماشطة، جامعة البصرة، البصرة، 1980، ص9.

<sup>3</sup> فايز الداية، علم الدلالة العربي، دار الفكر العربي، دمشق، ط 2، 1996، ص22.

<sup>4</sup> طارق سعد شلبي، الدرس التطبيقي في النقد العربي، زهرة المدائن، القاهرة، 2001، ص69.

<sup>5</sup> جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ت. عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987، ص14.

تؤدي في النهاية معنى معيناً، وعلى هذا لو قمنا بتحليل هذه المفردات من حيث مستوى الصوت أو الصرف، أو النحو أو من حيث علاقة اللفظ بمدلوله فلن نصل أبداً إلى دلالة محددة؛ لافتقاد السياق»<sup>6</sup>.

### المنهج وخطة البحث:

اعتمد البحث في تناوله للسياق: أهميته، ودلالته، وأنماطه في القرآن الكريم في تصور الإمام بدر الدين الزركشي تنظيراً وتطبيقاً في كتابه البرهان في علوم القرآن؛ على الاستقراء والرصد والتحليل وفق المنهج الأسلوبى الحديث الذي يفيد من أدوات اللغة والبلاغة، مع الإفادة من المناهج النقدية الأخرى والمقولات النظرية. وقسم البحث على:

مقدمة

### عنصرين:

دلالة السياق وأهميته في تصور الزركشي

- السياق والمعجم

- السياق والتركيب

- التناسب بين السياق والتركيب

- السياق والتلقي

أنماط السياق في تصور الزركشي

- سياق الآية

- سياق السورة

- آيات متتالية

- آيات غير متتالية

- السياق الكلي

خلاصة

ثبت المصادر والمراجع.

الخلاصة:

كشفت البحث عن أهمية السياق في تصور الزركشي رحمه الله عند تناوله للنص القرآني؛ في الكشف عن الدلالة المعجمية للكلمات، ودلالة التركيب وتأثيره فيه فضلاً عن التناسب بينهما، كما كشفت عن أثر السياق في عملية التلقي.

كشفت السياق وأنماطه في القرآن الكريم في تصور الزركشي عن وحدة النص القرآني، وذلك باعتباره سياقاً كلياً تدرج تحته سياقات صغرى تشمل الآيات والسور.

<sup>6</sup> محمد عيد المطلب، البلاغة والأسلوبية، لونغمان، القاهرة، 1994، ص308.

ولذلك التصور الذي عززه بالتطبيق أهمية في الكشف عن مقولتي تناسب النص القرآني، وتفسير النص بالنص بجانب الإفادة من الملابس المحيطة به. لعلمائنا الأجراء لاسيما الزركشي في كتابه البرهان جهود نقدية ولغوية تتقاطع مع المناهج النقدية واللغوية الحديثة، وتلك الجهود تكشف عن حيازتهم قصب السبق في التنظير والتطبيق.

### دلالة السياق وأهميته

للسياق عند الزركشي أهمية كبيرة، وترجع تلك الأهمية إلى تأثير السياق على الدلالة في النص القرآني من ناحية، وتأثيره على الظاهر والقوالب التركيبية في النص القرآني من ناحية أخرى.

أما ارتباط السياق بالدلالة في النص القرآني فيظهر من وجهين:  
الأول: الكشف عن الدلالة المعجمية للألفاظ، أو على الأقل التوجيه إلى دلالاتها.  
الثاني: الكشف عن دلالة التراكيب أو التوجيه إليها.  
السياق والمعجم:

وتظهر علاقة السياق بالمعجم من تناول الزركشي للغريب من الألفاظ في النص القرآني، فنجد أنه يوجه المفسر إلى الكشف عن الدلالة المعجمية له عن طريق السياق الواقع فيه، وعبر عن هذا الكشف بتصيد المعاني: «النوع الثامن عشر: معرفة غريبه، وهو يتصيد المعاني من السياق؛ لأن مدلولات الألفاظ خاصة»<sup>7</sup>.

وتظهر علاقة السياق بالدلالة المعجمية للألفاظ بصورة أوضح من الآيات التي يرد تفسيرها عن السلف فتعلم دلالات ألفاظها من السياق أيضا: «الثاني: ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب اللفظ لأنه اقتنصه من السياق»<sup>8</sup>.

ومن اللافت للنظر أن تعبير الزركشي عن الكشف عن مدلول اللفظ من السياق أو استخراج منه بـ«اقتنصه» في هذا النص، وبـ«يتصيد» في النص السابق عليه يدل على مدى الاتساع في عملية البحث عن الدلالة المعجمية للفظ، والجهد المبذول فيها، وأيضا الدقة النابعة من خفاء المتصيد، وهو ما يؤكد أهمية السياق والنظر فيه عند الزركشي للوصول للدلالة المعجمية للألفاظ.

<sup>7</sup> بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق. محمد متولي منصور، دار التراث، القاهرة، 2008، 328/1.

<sup>8</sup> الزركشي، البرهان، 170/1.

## السياق والتركيب:

يتضح كشف السياق عن الدلالة الكلية للتركيب في النص القرآني من تناول الزركشي «الأحكام المستنبطة من تنبيه الخطاب»،<sup>9</sup> ويبتغي في هذا المبحث الوصول إلى الأحكام الشرعية عن طريق الدلالة المستخرجة من السياق، فعلى سبيل المثال يصل إلى تحريم شتم الوالدين أو ضربهما من دلالة السياق على احترام الوالدين وتوقيرهما، وهذه الدلالة جاءت من النهي عن فعل القليل من الأذى لهما لينبه به على عدم فعل الكثير من الأذى لهما، ودلالة النهي هذه استخرجت من دلالة السياق أيضاً: «ومما تستثمر منه الأحكام تنبيه الخطاب، وهو إما في الطلب كقوله تعالى: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ}،<sup>9</sup> فنهيه عن القليل منبه على الكثير...»

واعلم أن هذا النوع البديع ينظر إليه من ستر رقيق، وطريق تحصيله فهم المعنى وتقييده من سياق الكلام كما في آية التأفيف، فإننا نعلم أن الآية إنما سبقت لاحترام الوالدين وتوقيرهما، ففهمنا منه تحريم الشتم والضرب»<sup>10</sup>.

ومن الناحية التطبيقية نجد أن الزركشي يشير إلى تأثير السياق في الكشف عن الدلالة الكلية للتركيب، فعلى سبيل المثال يشير إلى دلالة الأسلوب الخبري على الأمر، ويرجع ذلك إلى السياق ودلالته: «ومنها الأمر كقوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ}،<sup>11</sup> {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ}،<sup>12</sup> فإن السياق يدل على أن الله تعالى أمر بذلك؛ لأنه خبر وإلا لزم الخلف في الخبر»<sup>13</sup>.

ويشير إلى دلالة السياق على اجتماع أخوة يوسف- عليه الصلاة والسلام- في طلبه منهم الإتيان إليه في قوله: «{وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجمَعِينَ}»<sup>14</sup>، فلم يرد بهذا أن يجتمعوا عنده، وإن جاءوا واحداً بعد واحد، وإنما أراد اجتماعهم في المعنى إليه، وألا يتخلف منهم أحد، وهذا يعلم من السياق»<sup>15</sup>.

ويتضح لنا من تناول الزركشي لبعض ظواهر التركيب تأثير السياق على هذه الظواهر ومنها التقديم والتأخير، فعلى سبيل المثال يفترض الزركشي أن السموات مقدمة على الأرض في عموم النص القرآني: «ومنه تقديم السموات على الأرض كقوله: {خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ}»<sup>16</sup>، وهو كثير»<sup>17</sup>.

<sup>9</sup> الإسراء/23

<sup>10</sup> الزركشي، البرهان، 2/18.

<sup>11</sup> البقرة/228.

<sup>12</sup> البقرة/233.

<sup>13</sup> الزركشي، البرهان، 2/309.

<sup>14</sup> يوسف/93.

<sup>15</sup> الزركشي، البرهان، 2/373.

<sup>16</sup> العنكبوت/44.

<sup>17</sup> الزركشي، البرهان، 3/252.

أما تقديم الأرض وتأخير السموات فمن تأثير السياق، ومن ذلك ورودهما في سياق الوعد والوعيد الذي يقتضي تقديم الأرض؛ لأن سياق الوعد والوعيد لأهل الأرض: «وأما تأخيرها عنها في قوله: {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}»<sup>18</sup>، فلأن الآية في سياق الوعد والوعيد، وإنما هو لأهل الأرض»<sup>19</sup>.

التناسب بين السياق والتركيب:

هذا وقد رصد الزركشي التناسب بين السياق والتراكيب الواردة فيه، فعلى سبيل المثال يعلل وصف المنعم في آية، ووصف المنعم عليه في آية أخرى في سياقها؛ بمناسبة كل وصف للسياق الوارد فيه: «لكن بقي سؤال آخر وهو ما الحكمة في تخصيص آية النحل<sup>20</sup> بوصف المنعم، وآية إبراهيم<sup>21</sup> بوصف المنعم عليه؟

والجواب أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جبل عليه؛ فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه، وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى وإثبات ألوهيته وتحقيق صفاته؛ فناسب ذكر وصفه سبحانه، فتأمل هذه التراكيب ما أرقاها في درجة البلاغة»<sup>22</sup>.

ويرصد في الخطاب بالرسول والنبى مناسبة كل منهما للمحل الوارد فيه الخطاب بهما، فالخطاب بلفظ الرسول يأتي في سياق التشريع العام، والخطاب بالنبى يأتي في سياق الأمور الخاصة به ولا يليق بالنبى في سياق الأمور العامة: «ومن هذا النوع الخطاب بـ«يا أيها النبي»، «يا أيها الرسول»، ولهذا تجد الخطاب بالنبى في محل لا يليق به الرسول، وكذا عكسه كقوله في مقام الأمر بالتشريع العام: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}»<sup>23</sup>، وفي مقام الخاص: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ}»<sup>24</sup>، ومثله: {إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}»<sup>25</sup>،<sup>26</sup>.

وتتمد المناسبة إلى أفراد الكلمة أو جمعها بحسب السياق الواردة فيه، فيناسب بين ذكر «الرياح» مجموعة وبين سياق الرحمة، وبين ذكر «الريح» مفردة وبين سياق العذاب: «ومنها ذكر الرياح في القرآن جمعا ومفردة، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جاءت

18 الزمر/67.

19 الزركشي، البرهان، 3/253.

20 {وَأِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ}، النحل/18.

21 {وَأِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ}، إبراهيم/34.

22 الزركشي، البرهان، 1/124.

23 المائدة/67.

24 التحريم/1.

25 الأحزاب/50.

26 الزركشي، البرهان، 2/222.

مجموعة كقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا}،<sup>27</sup> {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ}،<sup>28</sup> {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ}،<sup>29</sup>

وحيث ذكرت في سياق العذاب أنت مفردة كقوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ}،<sup>30</sup> «31».

### السياق والتلقي:

لمح الزركشي في مقدمة البرهان إلى التناسب بين السياق والموقف الذي سيق له للتأثير على المتلقي، ورصد هذا التناسب لتحقيق خصوصية تميز النص القرآني عن غيره: «إن كان سياق الكلام ترجية؛ بسط، وإن كان تخويفاً؛ قبض، وإن كان وعداً؛ أبهج، وإن كان وعيداً؛ أزعج، وإن كان دعوة؛ حذب، وإن كان زجرة؛ أربع، وإن كان موعظة؛ أقلق، وإن كان ترغيباً؛ شوق»<sup>32</sup>.

وصرح بالتناسب بين السياق وما ورد فيه من ألفاظ من ناحية، وبين السياق والغرض منه من ناحية أخرى، ومن الجدير بالذكر أن ذلك التناسب مؤثر في الكشف عن إعجاز القرآن الكريم عند الزركشي: «في اختلاف المقامات ووضع كل شيء في موضع يلائمه: مما يبعث على معرفة الإعجاز اختلافات المقامات وذكره في كل موضع ما يلائمه ووضع الألفاظ في كل موضع ما يليق به، وإن كانت مترادفة حتى لو أبدل واحد منها بالآخر ذهبت تلك الطلاوة وفاتت تلك الحلاوة»<sup>33</sup>.

ثم تناول التناسب بين مقام الترغيب وبين تحقيق الغرض منه في التأثير على المتلقي، والتناسب بين مقام التهيب وبين تحقيق الغرض منه في التأثير على المتلقي أيضاً باعتبارهما من السياقات المتقابلة في النص القرآني: «وأما بالنسبة إلى المقامات، فانظر إلى مقام الترغيب وإلى مقام التهيب، فمقام الترغيب كقوله تعالى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}،<sup>34</sup> تجده تأليفاً لقلوب العباد وترغيباً لهم في الإسلام، قيل وكان سبب نزولها أنه أسلم عياش ابن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد ونفر معهما، ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا، قال وكنا نقول: قوم لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً أبداً فنزلت فكتب بها عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- إليهم حين فهم قصد الترغيب فأمنوا وأسلموا وهاجروا...

27 الروم/48.

28 الحجر/22.

29 الروم/46.

30 فصلت/16.

31 الزركشي، البرهان، 9/4.

32 الزركشي، البرهان، 42/1.

33 الزركشي، البرهان، 113/2.

34 الزمر/53.

وأما مقام التهيب فهو مصاد له، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾<sup>35</sup>، ويدل على قصد التهيب بطلان النصوصية من ظاهرها على عدم المغفرة لأهل المعاصي»<sup>36</sup>.

قد أوردنا مقولة الزركشي عن أسباب نزول الآية الأولى عن إسلام المفتونين وهجرتهم من مكة إلى المدينة عندما أرسل إليهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بالآية عندما فهم منها الترغيب؛ لنرصد ربط الزركشي بين تناسب سياق الترغيب مع الغرض منه وبين تأثيره على المتلقين للآية بالاستجابة للترغيب في الإسلام، والرد العملي بالهجرة، ونحسب أن ذكر الزركشي لأسباب النزول في هذه الآية؛ لرصد تأثير التناسب بين السياق وما سبق له على المتلقي.

### أنماط السياقات:

رصد البحث في البرهان أثناء تناول الزركشي التطبيقي للنص القرآني بعض أنماط السياقات، وتظهر تلك الأنماط من إحالة الزركشي للآيات أو التراكيب فيها إلى آيات أخرى أو تراكيب أخرى في النص القرآني، بمعنى أن الزركشي يستدل على المعنى أو الظاهرة الموجودة في آية بأية أخرى تشترك معها في سياق واحد.

وعلى هذا المنوال نحدد أربعة أنماط للسياقات تبدأ بسياق الآية، وتنتهي بالسياق الكلي للنص القرآني مروراً بسياق مجموعة من الآيات المرتبة داخل السورة، وسياق السورة<sup>37</sup>، وفيما يلي نعرض تلك السياقات عند الزركشي بما يدل على تلك الأنماط:  
سياق الآية:

تظهر ملامح سياق الآية عند الزركشي من اعتبار الآية وحدة دلالية تدل مكوناتها على بعضها البعض، فعند تناول التطبيق للآية يحيل أولها إلى آخرها، أو العكس ليستدل على مقولاته، فعلى سبيل المثال يتناول الحذف في أول الآية ويقوم بتقدير المحذوف منها بالاستدلال من آخر الآية: «في قوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾<sup>38</sup>، أي: أهدا خير أمن جعل صدره ضيقاً حرجاً وقسا قلبه، فحذف بدليل قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلنَّاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾<sup>39</sup>»،<sup>40</sup>

وفي قوله تعالى: «﴿إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى

<sup>35</sup> النساء/14.

<sup>36</sup> الزركشي، البرهان، 114/2.

<sup>37</sup> انظر الدراسة التطبيقية التي أعدها د. طارق سعد شلبي في كتابه «محمد والفتح قراءة في جماليات البيان

القرآني»، دار الفردوس، القاهرة، 2001، من حيث الكشف عن أنماط السياقات في النص القرآني.

<sup>38</sup> الزمر/22.

<sup>39</sup> الزمر/22.

<sup>40</sup> الزركشي، البرهان، 138/3.

مِثْلَهُ فَاَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ<sup>41</sup>، أي أفلستم ظالمين؟ بدليل قوله عقبه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ<sup>42</sup>}،<sup>43</sup>.

ويستدل على دلالة التخصيص من آخر الآية؛ لأن أولها جاء للعموم، كتخصيص «النساء» بـ«العاقلة البالغة» التي تؤتى صداقها في: «قوله تعالى: {وَأْتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً<sup>44</sup>}، فهذا عام في البالغة والصغيرة عاقلة أو مجنونة، ثم خص في آخرها بقوله: {فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا<sup>45</sup>}، الآية، فخصها بالعاقلة البالغة؛ لأن من عداها عبارتها ملغاة في العفو<sup>46</sup>.

وعلى العكس من ذلك يستدل على دلالة التخصيص من أول الآية لأن آخرها جاء للعموم في: «قوله تعالى: {وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَاهُمْ شَيْنًا<sup>47</sup>}، فإن هذا خاص في الذي أعطاهما الزوج، ثم قال بعد: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُؤَيِّمََا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ<sup>48</sup>}، فهذا عام فيما أعطاهما الزوج أو غيره إذا كان ملكا لهما<sup>49</sup>.

ويستدل على وقوع الماضي موقع المستقبل في أسلوب الشرط من ورود الخطاب بالمستقبل آخر الآية في: «قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ<sup>50</sup>}، فعلى وقوع الماضي موقع المستقبل فيهما، دليله قوله تعالى: {مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ<sup>51</sup>}، أي: إن كنت قلته تكن قد علمته، وهو عدول بالجواب إلى ما هو أبعد<sup>52</sup>.

### سياق السورة:

#### أ- آيات متتالية:

أما النمط الثاني من أنماط السياقات فيظهر باعتبار الزركشي لمجموعة آيات متتالية وحدة دلالية مؤثرة في تلك الآيات، ويتجلى هذا النمط من إحالة الزركشي للدلالة أو ظواهر التركيب في آية إلى آية أخرى تسبقها أو تليها في النص القرآني. ومن ذلك ما يتضح من الكشف عن دلالة الآية بما يليها من آيات وذلك من تناول

41 الأحقاف/10.

42 الأحقاف/10.

43 الزركشي، البرهان، 3/179.

44 النساء/4.

45 النساء/4.

46 الزركشي، البرهان، 2/214.

47 البقرة/229.

48 البقرة/229.

49 الزركشي، البرهان، 2/214.

50 المائدة/116.

51 المائدة/116.

52 الزركشي، البرهان، 2/345.

الزركشي لظاهرة الإجمال الدلالي في النص القرآني بمعنى خفاء الدلالة أحيانا ولو على المستوى الظاهر في النص القرآني: «وقد يكون بيانه واضحا وهو أقسام، أحدها: أن يكون عقبه كقوله: تعالى: {اللَّهُ الصَّمَدُ}»<sup>53</sup>، قال محمد بن كعب القرظي: تفسيره: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}»<sup>54</sup>،<sup>55</sup>.

هذا ويفترض الزركشي أن كلمة «سنت» بالتاء المفتوحة تكون بمعنى الإهلاك والانتقام في النص القرآني، ثم يورد الآيات ويستند فيها على هذه الدلالة على أول الآية. والآية التي بعدها معبرا عن ذلك بـ: «وسياق ما بعدها»، «في فاطر: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}»<sup>56</sup>، ويدل ذلك على أنها بمعنى الانتقام قوله تعالى قبلها {وَلَا يَحِقُّ الْمُكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}»<sup>57</sup>، وسياق<sup>58</sup> ما بعدها<sup>59</sup>.

ويعلق الزركشي أثناء استدلاله بآية على الآية السابقة عليها بـ: «سياق الآية»، وذلك: «كقوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ}»<sup>60</sup>، الخطاب له والمراد المؤمنون لأنه- صلى الله عليه وسلم- كان تقيا وحاشاه من طاعة الكافرين والمنافقين، والدليل على ذلك قوله في سياق الآية: {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}»<sup>61</sup>،<sup>62</sup>.

وأثناء رصد دلالات التنكير في النص القرآني يصرح بأن هذه الدلالات تعلم من القرائن والسياق على حد تعبيره، وأثناء التناول التطبيقي يستدل على دلالة النكرة من الآيات بعدها باعتبارها سياقاً دلالياً واحداً: «هذه الأمور إنما تعلم من القرائن والسياق، كما فهم التعظيم في قوله تعالى: {لَأَيُّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ}»<sup>63</sup>، من قوله بعده: {لِيَوْمِ الْفَصْلِ} {13}

53 الإخلاص/2.

54 الإخلاص/ 3-4.

55 الزركشي، البرهان، 182/2.

56 فاطر/43.

57 فاطر/43.

58 الآية بعدها: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}، فاطر/44.

59 الزركشي، البرهان، 453/1.

60 الأحزاب/1.

61 الأحزاب/2.

62 الزركشي، البرهان، 233/2.

63 المرسلات، الآية 12

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ<sup>64</sup>، وكما فهم التحقير من قوله: {مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ<sup>65</sup>}، من قوله بعده: {مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ<sup>66</sup>}، «67»

ويستدل على حذف الجواب من التركيب الشرطي في آية على الآية التي تليها: «ومن حذف الجواب قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ<sup>68</sup>، أي أعرضوا؟ بدليل قوله بعده: {إِلَّا كَأَنُورًا عَنَّا مُعْرِضِينَ<sup>69</sup>}، «70».

#### ب- آيات غير متتالية:

أما النمط الثالث من أنماط السياقات التي رصدناها في تناول الزركشي للنص القرآني فيختلف عن النمط الثاني في أن الآيات التي ربط الزركشي بينها ليست متتالية، بل في هذا النمط من أنماط السياق يربط بين آيات متباعدة في سورة واحدة مما يعد سياقاً دلالياً واحداً على مستوى السورة.

ويظهر هذا النمط من تناول الزركشي لدلالاتي العموم والخصوص في النص القرآني، فيستدل على التخصيص من آية على عموم آية أخرى في السورة ذاتها: «وقد يؤخذ التخصيص من آية أخرى كقوله تعالى: {وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ<sup>71</sup>}، الآية، فهذا عام في المقاتل كثيراً أو قليلاً، ثم قال: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ<sup>72</sup>}، الآية»<sup>73</sup>.  
ومن الملاحظ أن بين الآيتين من سورة الأنفال ما يقرب من تسع وثلاثين آية مما جعلنا نصنف هذا النمط من أنماط السياقات على مستوى السورة.

ويستدل على الخصوص بآيتين إحداهما تالية للآية الدالة على العموم، والأخرى تأتي بعدها بما يقرب من ثلاث وتسعين آية: «ونظيره قوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ<sup>74</sup>}، وهذا عام في جميع الميتات ثم خصه بقوله: {فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ<sup>75</sup>}، فأباح الصيد الذي يموت في فم الجراح المعلم، وخصص أيضاً عمومه في آية أخرى قال: {أَجَلٌ

64 المرسلات/13-14.

65 عبس/18.

66 عبس/19.

67 الزركشي، البرهان، 4/91.

68 يس/45.

69 يس/46.

70 الزركشي، البرهان، 3/185.

71 الأنفال/16.

72 الأنفال/65.

73 الزركشي، البرهان، 2/215.

74 المائدة/3.

75 المائدة/4.

لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ»<sup>76</sup>, تقديره: وإن كانت ميتة, فخص بهذه الآية عموم تلك»<sup>77</sup>.

وأثناء تناول الزركشي لظاهرة الحذف في الجملة الاسمية نجد أنه يستدل على حذف الخبر في آية تالية من آية سبقتها بعدة آيات: «حذف الخبر: قوله في سورة «ص» بعد ذكر من اقتص ذكره من الأنبياء, فقال: {هَذَا ذِكْرٌ}<sup>78</sup>, ثم لما ذكر مصيرهم إلى الجنة وما أعد لهم فيها من النعيم قال: {هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرًّا مَّابٍ {55} جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ {56} هَذَا}<sup>79</sup>, قد أشارت الآية إلى مآل الطاعين ومنه يفهم الخبر»<sup>80</sup>.

### السياق الكلي:

أما النمط الرابع والأخير من أنماط السياقات عند الزركشي فهو الأكبر اتساعا بحيث يشمل النص القرآني كله, بمعنى أن الزركشي يوسع من دائرة الاستدلال على آية في سورة بآية في سورة أخرى مما يجعل للنص القرآني سياقاً كلياً تدرج تحته السياقات السابقة<sup>81</sup>: «وللزركشي تصور لوحدة النص القرآني نابع من إيمانه كغيره من المسلمين بوحدة القرآن الكريم وخصوصيته وأنه منزل من عند الله سبحانه وتعالى الواحد الأحد على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم, وقد صرح الزركشي بهذه الوحدة في غير موضع من كتابه البرهان»<sup>82</sup>, ويكتفي البحث بالإشارة إلى هذا النمط في بعض المواضع.

ومن ذلك إشارة الزركشي في الكشف عن دلالة آية من آية أخرى في سياق السورة من النمط السابق, وفي السياق العام للنص القرآني: «الثاني: أن يكون منفصلاً عنه في السورة معه, أو في غيره كقوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}<sup>83</sup>, وبيانه في سورة الانفطار بقوله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمِ الدِّينِ {17} ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمِ الدِّينِ {18} يَوْمَ لَا تَمَلُكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ سَلِيماً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ}<sup>84</sup>,»<sup>85</sup>.

ويستدل الزركشي على الخطاب بالمفرد والمراد به الجمع في آيتين بآية ثالثة ذكر فيها

76 المائدة/96.

77 الزركشي, البرهان, 2/215.

78 ص/49.

79 ص-56 55-57.

80 الزركشي, البرهان, 3/138.

81 تم تفصيل ذلك في بحث من شؤر للباحث, انظر: كريم فاروق أحمد عبد الدايم, وحدة النص القرآني في

تصور الإمام بدر الدين الزركشي, «Sayı:35, Atatürk Üniversitesi İlahiyat Dergisi, 2011, ص169-197.

82 كريم فاروق أحمد عبد الدايم, وحدة النص القرآني في تصور الإمام بدر الدين الزركشي, ص171.

83 الفاتحة/4.

84 الانفطار/17-18-19.

85 الزركشي, البرهان, 2/184.

المفرد ثم الجمع، وتلك الآيات الثلاثة تقع في ثلاث سور مختلفة: «كقوله: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ}»<sup>86</sup>، {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}»<sup>87</sup>، والمراد الجميع بدليل قوله: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ} {2} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}»<sup>88</sup>، «<sup>89</sup>.

ويستدل على ذكر اللفظ عن طريق ذكر لوازمه في آية بآية أخرى كالاستدلال على «عمى» التي ذكر لوازمها «في الظلمات» من: «قوله: {صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ}»<sup>90</sup>، فإن الأصل «عمى» لقوله في موضع آخر: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمِيٌّ}»<sup>91</sup>، لكن أتى بالظلمات لأنها من لوازم العمى»<sup>92</sup>.

ويمتد الاستدلال عند الزركشي في هذا النمط من أنماط السياقات إلى دلالات الحروف، ومن ذلك استدلاله على دلالة «إن» على النفي من دلالة «ما» عليه في آية أخرى: «بمنزلة «لا» وتدخل على الجملة الاسمية كقوله تعالى في الأنعام: {إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا}»<sup>93</sup>، بدليل «ما» في الجاثية: {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا}»<sup>94</sup>، «<sup>95</sup>.

ومن اللافت للنظر أن انطلاق الزركشي للاستدلال باعتبار النص القرآني سياقاً كلياً هنا نابع من التشابه بين التراكيب أو تكرارها في الآيات التي ارتبطت مع بعضها عن طريق استدلال الزركشي بوحدة على أخرى، ففي النص السابق نجد أن مفردات التركيب قد تكررت في الآيتين باستثناء «إن» و«ما»، وفي النص السابق عليه نجده كذلك باستثناء «عمى» و«في الظلمات»، وهذا التناول للآيات يعضد فطنة الزركشي لهذا النمط من أنماط السياقات.

هذا ويربط الزركشي بين الآيات على مستوى النص القرآني عن طريق الدلالة، بمعنى أنه يتناول إحدى الآيات مورداً دلالة معينة ثم يحيل التناول إلى آيات أخرى تشترك مع بعضها في الدلالة وتخالف الأولى في الدلالة كما في قوله: «{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ}»<sup>96</sup>، أي هذا الحق من ربكم وليس هذا كما يظنه بعض الجهال: أي قل القول فإنه لو أريد هذا لنصب «الحق»، والمراد إثبات أن القرآن حق ولهذا قال «من ربكم»، وليس المراد

<sup>86</sup> الانشقاق/6.

<sup>87</sup> الانفطار/6.

<sup>88</sup> العصر/2-3.

<sup>89</sup> الزركشي، البرهان، 2/255.

<sup>90</sup> الأنعام/39.

<sup>91</sup> البقرة/18.

<sup>92</sup> الزركشي، البرهان، 2/260.

<sup>93</sup> الأنعام/29.

<sup>94</sup> الجاثية/24.

<sup>95</sup> الزركشي، البرهان، 4/215.

<sup>96</sup> الكهف/29.

هنا قول حق مطلق، بل هذا المعنى مذکور في قوله: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا}،<sup>97</sup> وقوله: {لَا تَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ}،<sup>98</sup> «<sup>99</sup>.

## Kaynaklar

- Abdu'd-Dâim, Karim Farok Ahmed, "Vahdetu en-Nassi el-Kur'âni fî Tasavvuri el-Îmâmi Bedri'd-Dîni ez-Zerkeşî", *Atatürk Üniversitesi İlahiyat Dergisi*, Sayı: 35, 2011.
- \_\_\_\_\_, Karim Farok Ahmed, Fâizud-Dâye, *İlmu'd-Delâleti el-Arabiyyi*, Dâru'l-fikri el-arabiyyi, Dimeşk 1996.
- \_\_\_\_\_, Karim Farok Ahmed, Muhammed Abdu'l-Muttalib, *el-Belâğatu el-Uslûbiyye*, Longmen, el-Kâhire 1994.
- Laynz, Cun, *İlmu'd Delâle*, trc: Mecîd Abdilhalîm el-Maşıta, Câmî'atu'l-Basra, el-Basra 1980.
- \_\_\_\_\_, *el-Lugatu ve'l Mana ve'Siyak*, (trc: Abbâs Sâdık el-Vehhâb), Dâru'ş-Şuûnî es-Sekafiyye, Bağdâd 1987.
- Şelebî, Târik Sa'd, *ed-Dersu et-Tatbikiyyu fî en-Nakdi el-Arabiyyi*, Zahratu'l-Medâin, el-Kâhire 2001.
- \_\_\_\_\_, Târik Sa'd, *Muhammed ve'l-Fethu Kırâ'atun fî Cemâliyyeti el-Beyâni el-Kur'âni*, Dâru'l-Firdevs, el-Kâhire 2001.
- ez-Zerkeşî, Bedruddîn, *el-Burhân fî Ulûmi'l-Kur'ân*, (thk: Muhammed Mutevellî Mansûr), Dâru't-turâs, Kahire 2008.

<sup>97</sup> الأنعام/152.

<sup>98</sup> الأعراف/169.

<sup>99</sup> الزرکشی، البرهان، 135/3.